

(أحادية المواقف الداعمة لبعض الدول الإفريقية للجزائر وثورتها)

د. الهادي عامر و أ. صادق زينب

جامعة الجلفة

ملخص:

يحاول هذا المقال رصد وجهات النظر بعض الدول الإفريقية حيال الثورة الجزائرية، كما يعالج مواقف بعض الزعماء الأفارقة تجاه النزاع بين المحتل الفرنسي والحكومة الجزائرية المؤقتة في وقت اشتد فيه الكفاح من أجل التحرر من نير الامبريالية الاستعمارية في نقاط كثيرة من العالم المعاصر في النصف الثاني من القرن 20م.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، غينيا، الكونجو، مالي، سيكو توري، كوامي نكروما.

Abstract:

This article attempts to monitor the views of some African countries on the Algerian revolution and addresses the attitudes of some African leaders towards the conflict between the French occupier and the Algerian interim government.

Keywords: Algerian Revolution, Guinea, Congo, Mali, Siku Toure, Kwame Nkrumah.

مقدمة :

صحيح أن كثيرا من الدول الإفريقية تولت جانباً من الكفاح الجزائري ومساندته ، لعل أهمها على سبيل المثال لا الحصر: غينيا ، الكونجو ، غانا ومالي. ولقد كانت الجزائر ملاذاً وحصناً للأحرار ويلخص هذا مقولة لزعيم ثورة جنوب أفريقيا نيلسون مانديلا: "الجزائر كانت وستبقى قلعة الثوار والأحرار، والسند القوي لكل الشعوب المناضلة من أجل العدالة والحرية، ومواقفها الأصيلة ترجمتها إلى عطاء ودعم وإسهام مباشر في تحرير القارة الإفريقية، إن عطاء ثورة الجزائر وجهة التحرير الجزائرية كان عظيماً وقوياً وفعالاً، وستظل كل الشعوب الإفريقية تذكر باعتزاز للجزائر دورها الرائد في تحريرها من الاستعمار، وتثمن جهودها في توحيد وتضامن القارة وشعوبها، والنهوض بالتنمية والاقتصاد فيها" (عبد العزيز حسين، مانديلا ، 104).

عندما اندلعت حرب التحرير الجزائرية، كانت معظم البلدان الإفريقية تحت نير الاستعمار، وكان واضحاً أن الاستعمار لن يتنازل عن مناطق كثيرة في القارة الإفريقية منها: أنجولا، جنوب أفريقيا، وناميبيا، واعتبرت جهة التحرير الوطني باستمرار بأن عملها التحرري جزء مكمل، وله تأثير متبادل من أجل تحرير أفريقيا ككل وليس التراب الجزائري فقط. (الرفاعي ، افريقيا ، 122)

وجدت حركات الاستقلال والتحرر الإفريقية في الثورة الجزائرية نموذجاً ليس فقط في إخراج استعمار تقليدي كما سماه فرانز فانون (طنطاوي، مقاومة الاستعمار، 34)، بل كذلك نموذجاً لمواجهة الاستعمار الاستيطاني وخاصة في أنغولا، الموزمبيق، زيمبابوي. وكانت دافعاً قوياً لحركات الاستقلال لعدم المساومة مع المستعمر مثل ما حدث في غينيا والكونغو وغانا ومالي، وأما عن التأييد الإفريقي للثورة الجزائرية. وكانت لبعض الدول الإفريقية مواقف متشددة ضد الاستعمار الفرنسي، ومساندة بدون تحفظ للقضية الجزائرية ولحرب التحرير الجزائرية:

1. الموقف الغيني:

كان لدى غينيا قيادة وطنية برئاسة أحمد سيكوتوري، الذي عرف بمواقفه الثابتة ضد الاستعمار وهيمنة القوى الرأسمالية ليس فقط على غينيا، بل على أفريقيا والعالم ككل. وكان سيكوتوري أحد القادة البارزين والقياديين المناوئين للاستعمار، والمطالبين باستقلال وتحرير الشعوب دون قيد أو شرط، ومناصرًا لكل الوسائل التي تضمن ذلك بما فيها العمل المسلح حين قال:

.. فنحن مصممون تصميمًا راسخًا على تقديم مساعدتنا غير المشروطة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من أجل استقرار السلم في الجزائر، حسب الشروط والضمانات التي حددتها الحكومة الجزائرية... ونحن نعلم بصفة واضحة أن موقف الحكومة الفرنسية نحو الرغبات الشرعية للشعب الجزائري؛ سيحدد بشكل أقوى وأوضح موقف الشعب الغيني وحكومته من الحكومة الفرنسية (الألوسي، الجزائر، 78).

في الوقت الذي كانت فيه نيران حرب الاستقلال مشتعلة في الجزائر؛ أراد ديغول منح الدول الإفريقية جنوب الصحراء استقلالاً ضمنيًا، لتكوّن لفرنسا الكلمة العليا في السياسات الخارجية والداخلية والأمنية العسكرية والاقتصادية لهذه الدول. وكانت فرنسا تحلم بأن تستعيد قوتها وهيمنتها على غينيا؛ لما وهبها الله لها من الموارد الطبيعية والأراضي الزراعية الخلاصة، فهناك تسعة أنهار إقليمية تنبع من غينيا، منها على سبيل المثال نهر النيجر.

ولقد سمى الكاتب الفرنسي رولان برييه (Roland Pré) غينيا: «الانفجار الجيولوجي» Scandale Geologique، وقال: «وتحتفظ غينيا الفرنسية باحتياطيات هائلة من المواد الخام على كامل أراضيها، ولكننا سوف ننظر بشكل رئيسي إلى الودائع القريبة من البحر، التي من المرجح أن تُستغل الآن: الإيداع الحديدي لشبه جزيرة كالوم، ويشمل جزيرة تومبو... يشكل واحدًا من أكثر الودائع العالمية المستوردة، متوسط محتوى الحديد من الخام الإيجابي المعترف به هو ما يقرب من 5%، والحمولة من هذا الخام الإيجابي المعترف بها هو 606,000,000 طن. أما بالنسبة للخام المحتمل؛ فيمكن تقدير حمولته بحوالي 2 مليار طن؛ بمتوسط 44% من الحديد» (Roland, L'Avenir, 90).

جازف سيكو توريه في خطبته المشهورة، فكانت كإحدى الموبقات السبع آنذاك، وصارت غينيا الدولة الفرانكوفونية الوحيدة في القارة الإفريقية التي عارضت خطة فرنسا؛ متيقنة بأنها لا تضمن لإفريقيا استقلالاً حقيقياً، فحوّلت خطبة سيكو توريه الخُلم الفرنسي إلى كابوس.

وجاء ردّ الفعل الفرنسي أشبه بانتقام الحبيب المهجور، فغادر ثلاثة آلاف فرنسي غينيا، حاملين معهم كلّ ما يستطيعون، ومدّرين كلّ ما لم يستطيعوا نقله، فالمدارس ودُور الحضانة والمباني الإدارية العامة حُطّمت، والسيارات والكتب والأدوية وأدوات المؤسسات البحثية والجرارات حُرّيت وسُجّقت، والخيول والأبقار في المزارع قُتلت، والأطعمة حُرقت أو سُمّمت (Posthumus, 70).

واتخذت الاستخبارات الفرنسية عدة خطوات لتُثبِّك غينيا سيكو توريه على قَدَمِها أمام فرنسا العظيمة، في تلك الأثناء كان جاك فوكار- رئيس الاستخبارات الفرنسية (SDECE) - موجوداً في دكار مع فريقه المكلف بغينيا، وكان موريس روبرت (Maurice Robert) المسؤول عن غينيا.

ولم يتوقف الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري في تأييده المطلق للثورة الجزائرية على العلاقات الثنائية بين البلدين الجزائر وغينيا، بل حمل كل دولة أو حكومة مسؤولية إجرامية في حالة التردد أو التحفظ من مساندة الثورة الجزائرية: إن كل حكومة لا تهتم بقضية الشعب الجزائري في استقلاله إنما تشارك الاستعمار في جرائمه، وإن أية حكومة تعلن أنها غير مسؤولة إزاء القضية الجزائرية؛ فإنما تتحمل بموقفها هذا مسؤولية تأييد الاستعمار ومناصرة الظلم والعدوان.

2. موقف الكونغو:

اتخذ السيد باتريس لومومبا أثناء إدارته للحكومة الكونغولية مواقف هادفة وقوية بجانب حرب التحرير الجزائرية والأفريقية بصفة عامة، ولو على حساب وجوده على رأس الحكومة الكونغولية، وذلك ما تضمنته مثلاً تأكيدات السيد لومومبا إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة أثناء لقائه بهذا الأخير «13 أغسطس 1960م»:

إن المشكل الجزائري بالنسبة لنا هو مشكل القارة الأفريقية بأكملها، إن أفريقيا لا تحمل أي حقد للرجل الأبيض، وإنما تطالب بحقوقها في الكرامة والحرية مثل جميع بلدان العالم. إنه لا وجود لجزائر فرنسية في نظرنا، وإنما هناك جزائر وكفى، وهذه الجزائر توجد في القارة الأفريقية. على الغرب اليوم أن يختار: أما أن يقبل بتحرير أفريقيا بأكملها ويعيش معها في ظل الصداقة، وإما أن يرفض صداقة أفريقيا.

3. موقف غانا:

الرئيس الغاني كوامي نكروما أكد دورياً انسجام مواقف حكومته مع الشعب الغاني، مبرزاً قناعاته وتأكيداته من حتمية الانتصار الجزائري على فرنسا، في خطابه أمام الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة أكتوبر 1960م، وكرر الرئيس نكروما وأكد موقف بلاده والمتمثل في: "إن فرنسا لا تستطيع أن تنتصر عسكرياً، والطريق الوحيد للخروج بفرنسا من هذا المأزق هو طريق التفاوض". (نكروما ، نحو تحرير ، 56)

مهما كان مستوى حجم المساندة للثورة الجزائرية من بعض الدول الأفريقية؛ فإنها لا تخفي التأييد الأفريقي الجماهيري الواسع على مستوى البلدان الأفريقية، سواء التي كانت مستقلة أو تحت الاستعمار (دبش ، السياسة ، 78).

4. موقف مالي:

كانت مالي حكومة وشعباً بقيادة موديبو كابتا داعمة للتحرر الجزائري، وكانت ممراً هاماً لعبور الأسلحة عبر الجنوب الجزائري لتدعيم حرب التحرير الجزائرية، وكانت تنظم مظاهرات شعبية خاصة في المناسبات الوطنية للثورة الجزائرية، منددة بالاستعمار الفرنسي، مؤكدة تضامن الشعب المالي مع معركة تحرير الشعب الجزائري. وقال مندوب مالي في الأمم المتحدة نهاية سبتمبر 1960م: إن حرب الجزائر وحدها كانت سبباً كافياً لحمل الدول الأفريقية على قطع علاقاتها مع فرنسا، إذ أن فرنسا تقود في الجزائر حرباً إبادة. (دبش ، المواقف ، 112).

وبالنسبة إلى مالي لم يكن هدف ونموذج الثورة الجزائرية فقط لتحرير الجزائر، بل لتحرير أفريقيا ككل لأن تضحيات الوطنيين الجزائريين بعد تضحيات الوطنيين في فيتنام؛ هي السبب في تطور الموجة التحريرية، التي تعدّ جميع الدول الأفريقية مدينة لها بالاستقلال. وساندت حكومة مالي كل مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في مفاوضات إيفيان، ذلك ما أكدته الرئيس موديبو كابتا نفسه في رسالة موجهة إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة. (دبش ، المواقف ، 113).

ومهما كان مستوى حجم المساندة للثورة الجزائرية من بعض الدول الأفريقية؛ فإنها لا تخفي التأييد الأفريقي الجماهيري الواسع على مستوى البلدان الأفريقية، سواء التي كانت مستقلة، أو التي كانت آنذاك ما زالت تحت الاستعمار. وشعبياً، كان الجميع في تضامن مطلق مع الثورة الجزائرية، ومساندة مستمرة على مستوى التنظيمات والتجمعات غير الحكومية إقليمياً ودولياً. كما كان بالمقابل لممثلي جبهة التحرر الوطني والحكومة المؤقتة تنسيق وتضامن دائم مع قوى وحركات التحرر الأفريقية في المحافل الدولية، من أجل مناصرة استقلال وتحرير كل الأراضي المستعمرة في أفريقيا خارجياً. (مريم ، مواقف ، 123)

الخاتمة:

لقد ساندت حكومات وشعوب أفريقيا، والتي أتينا على ذكر بعضها في هذا المقال، وعلى قدر استطاعتها كفاح الجزائر، وبادرت للوقوف معه. ويمكن القول: هنا مغزى نضال الشعوب، وكيف تتوطد العلاقات الإنسانية، أي: من خلال الكفاح والمطالب المشروعة العامة والحوار السياسي البناء، وكانت الجزائر أيقونة هذا النهج في ستينات القرن العشرين.

قائمة المراجع والمصادر:

أ- باللغة العربية:

- إسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية ، دار هومة ، الجزائر ، 1992.
- جمال الدين الألوسي ، الجزائر بلد المليون شهيد ، دار الأمة ، الجزائر ، 1992.
- طه طنطاوي، مقاومة الاستعمار في فكر فرانز فانون، رسالة ماجستير(جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، 2009) .
- عبد العزيز الرفاعي ، افريقيا والعلاقات السياسية الدولية في عهد الاستقلال ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1970.
- عبد العزيز حسين ، مانديلا ، دار المؤلف للتوزيع والنشر ، القاهرة ، 2000.
- كوامي نكروما ، نحو تحرير المستعمرات ، د.ن.
- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية: 1954-1962 ، دار الحكمة، الجزائر ، 2010.

ب- باللغة الأجنبية:

- Roland Pré (1951 : 90) L'Avenir de la Guinée française, Imprimerie. de Lescaret, Paris.
- Bram Posthumus, (2016 :70-71) Guinea: Masks, Music and Minerals, Hurt & Co. ltd, London